الأحلام تبتسم

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت (٢٢٩) لعام ٢٠٢١م

عنوان الكتاب: الأحلام تبتسم (مجموعة قصصيَّة).

تأليف: علي حسين المقدي.

الحجم: ١٤ × ٢١ سم.

الإخراج الفني: أبو عبدالرحمن الشحري.

تصميم الغلاف: حُسام علي بامحسون.

الناشر

دار الأسعاء للدراسات والنشر

الشحر – حضرموت – اليمن – ت: ٠٠٩٦٧٧٣٨٤١٠٢٧١

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي.

الأحلام تبتسم

(مجموعة قصصيَّة)

تأليف

علي حسين المقدي

الإهداء..

إلى عشاق الأدب والثقافة

بمدينتي الحبيبة الشحر..

علي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

أعزائي القراء، هذه مجموعة قصصيَّة قصيرة، اخْترتُ لها عنوان (الأحلام تبتسم)، وهي باكورة أعمالي القصصيَّة، لعلها تكون بداية وارهاصات لصدور باقي أعمالي، فالأحلام تتجدد ولا تعرف نهاية، كما لا تعرف بداية، وفرحة لقاء الأحلام، كانت أعظم وأبلغ أثراً. بعض البشر عادوا من جديد وبحثوا عن أحلام جديدة، وحصلوا عليها مرة ثالثة ورابعة، بعضهم بدَّل حلمه في طريق العودة وعاد من جديد يبحث عن حلم آخر.

هذا كله فضاء واسع وقالب أدبي لقصص قصيرة، حكاية تجمع بين الحقيقة والخيال، وتكون على جانب من التشويق والإمتاع، وكل قاص له أسلوبه الخاص، مع التأثير والتأثر، َالتزامه بعناصر القصة الكلاسيكية، من سرد حكائي نثري، يسلك فيها القاص أسلوب التدرُّج، من مقدمة القصّة وحتى نهايتها، معتمداً على ضمير الغائب،

وهي تعدُّ افضل من طريقة الترجمة الذاتية، التي يلجأ فيها القاص لاستخدام ضمير المتكلّم.

أمَّا الطريقة الحديثة، يتم فيها العرض منذ لحظة التأزَّم، ثم الرجوع إلى الماضي، ليروي البداية، وذلك باستخدام أساليب فنّية، كأسلوب الذكريات، وهناك طريقة أخرى نسميها طريقة الارتجاع، والتي يستخدمها الكاتب في روايته للحدث، مُبتدِئاً بالنهاية، ثمَّ يعود فيروي القصَّة كلَّها، هكذا تسير الأمور الفنية في القصص باختلاف أنواعها، المحلي والعربي والعالمي.

المؤلف

العصفور الأزرق

جلستُ صامتاً، أُقلِبُ رسائلك القديمات، كطفلٍ شقيّ يعبث بعقارب الساعةِ! رسائل ينفحُ منها رائحة عود الطيبِ، لا أَمَلُّ من قراءتها، دفاتر أيامي تخط بأناملك، وفي القلوب حكايات لن تصل إليها الأقلام. تذكرتُ فيكِ ليالي الوصال، وأرخيتُ لحلمي العنان، هذه الليلة ربُّما تكون طويلةً، تنهدتُ تنهيدةً تعلو للسَّحاب، كنتُ مُرهقاً من الداخل، ما عاد لي القدرة على الانتظار، سوف أكسرُ كل حواجز الخجلِ، وأكتشف جرأتي والتي سوف تكون قادرةً على إنجاز ما أحلم به، سأطوي المسافات إليكِ، تاريخ حبُّنا تخطّى جدران القلب والسدود، لقد سال سيل الشوق، سقى قلبي والورود، فرشت قلبي لقلبك.

سأخبركِ عن جنون حبّي و ارتعاش وخفقان قلبي، خمسون عاماً أنا والعشق في جسدي، هي علمتني أن أحبّها، أن أغازلها، أن أعشق لونها، أن أسير في درب أشواقها، أن أبقى أسير جفونها، أنتِ مهبط عشقي، أمهليني، لأن لديك عشقٌ ليس له مثيل، لقد كان قلبي في المحبة جاهلاً حتى تعلم منكِ أسرار الهوى، إني عشتُ مع العشقِ كتوأمينِ لا ينفصلانِ، إني نسجتُ جسراً من المحبة، آه من شوقٍ مازالَ يواكب زفيري والشهيق، يُطرِبُ فؤادي حين تهامسني وأهامُسها، تُربكُ

نبض الفؤاد، خدّكِ المزهرُ وردٌ وياسمين، يزهو في الرياض متبسماً، نجني من رحيق زهرها التلاقي، يأتي الصباح وتنبلجُ الشمس بالإشراق، ليخبرنا أنه مازال هناك حياة، مازال هناك أَمَلاً، أيُّها الصباح الجميل! افتحْ حقائبك.

وأهدني منها وردةً؛ زرعتُكِ في فؤادي، رسمتُ لكِ لوحةً في الجمال؛ تفاصيل ألوانها نادرةً، رسمتُكِ عصفورةً على غصنِ سفرجلٍ، أنتِ مرآتي لكل دقائق حياتي، أغبط النسائم حين تداعب محيَّاك، أنتِ حلمٌ ساحرٌ جميل، فؤادكِ قصرٌ أسكنهُ، وفؤادي طفلٌ بيديكِ، افتحي لي الباب ضميني لملمي شتاتي، فإني أعيشُ بين حلمٍ ويقينٍ.

الطالب العنكبوتي

كان يقود سيارته بسرعة هائلة، يسابق بها الزمن، على الخط البحري، الموازي لكورنيش عبدالمعين، الواقع على شاطئ بحر العرب، هو على موعد مع محاضرته في جامعة حضرموت، في علم اللغة، أوقفته دورية المرور، المرابطة هناك بادره ضابط المرور بطلب الرخصة وأوراق السيارة، وأخذ يتفحصها ومن وراء عدساته الشمسية المعتمة، كان يتفحص وجههُ، سلّم له كل ما طلب من وثائق، ليبادره بلهجة هادئة وحازمة في نفس الوقت، لم تربط كذلك حزام الأمان، وهذه مخالفة يا أستاذ!

نعم أعترف أني أخطأت وأستحقها، قام بتدوين قسيمة المخالفة، أنت أستاذ ومعلم تربوي، إذا غش طالب في الامتحان هل تسامحه؟ طبعاً لا، أطبق عليه القانون.

ناوله ورقة المخالفة وهو يضحك، وطلب منه الخروج من السيارة، وبتردد واستغراب! نزل من السيارة، فقام الضابط فجأةً باحتضانه وقبّل رأسه، كان مندهشا مما يحصل!.

أستاذ جمال، أنا الطالب العنكبوتي الذي درّسته، راحت ذاكرته تجول وتسترجع في شريط ذكرياته، الأيام الجميلة في المرحلة الابتدائية، وماذا كان يفعل العنكبوت على طبيعته الطفولية، أتذكر حين غششتُ مع ابنك أُسامة في الامتحان، فعاقبتنا حينها وسحبت ورقتي وورقته، ومنحتنا صفراً على الشمال، وطبقت عليَّ وابنك القانون، منذ ذلك اليوم، عرفت أن القانون وضِعَ ليطبق على الجميع ولا يستثنى منه أحد ولو كان ابنك، يومها بكيت احتراماً لك وحزناً، إنك طبقت القانون على ابنك دون أن تجامله، فجعلتك مثالاً لي وقدوةً، واليوم أستاذي أطبق عليك القانون، ولا أستثني أحداً.

لم يستطع التحكم بدموعه فرحاً، بأن هذا الضابط، كان أحد طلابه وعرف ماذا يعني تطبيق القانون، وهو بالمقابل كان يتحاشى أن لا تسيل دموعه، حفاظا على هيبة الزي العسكري الذي يرتديه، فأخرج من جيبه الخلفي، مبلغ المخالفة، وقال: أقسمت عليك يا أستاذي، أن تقبل هديتي.

فامتنع فألح عليه، القانون طبقته عليك، لكن قيمة المخالفة عليّ، فأنت معلمي وقدوتي، وأدامك تاجاً فوق رأسي، فكان يناجيه بعبارات جميلة؛ تدل على جبر الخواطر، فيها الحب والإخلاص ورد الجميل، وسانده زميله صالح الذي شهد الموقف بتأثر، فوافق عن طيب خاطر،

واستودعهم الله وغادر المكان وقد سرت بين أضلعه سكينةً عجيبةً، وسعادةً غامرةً، ودموع فخرٍ، إنه أحد طلابهِ، الذي شقّ طريقه بنجاح في هذه الحياة، جيلٌ لا يخون وظيفته ولا وطنه.

مدينة الأحلام

دخلتُ غرفتي، تمددتُ على سرير الأحلام، من دون أن أضغط على زر المصباح، ضايقتني الظلمة، تسارعت الكلمات في مخيلتي ونسجت أفراح تفاصيل أحلامنا، والصور النرجسية، تتزاحم فوق رأسي، تلك الجمل التي سطرتها على الورقة المكتوبة إلى النصف، سمحتُ لنفسي بمزحة قلمٍ، في صفحة هذه الحياة الثنائية الوجه، التي يمكن النظر إليها بصورة إيجابية أو سلبية، فالحياة تمرُ بين حلمٍ وأمنيةٍ، ويبقى الانتظار، طقساً مُرهقاً من طقوس حياتنا اليومية لتلك الأحلام! التي لا نبوح بها لأحد.

كانت الأحلام تكبر، فالأحلام الكبيرة، بداياتها صغيرة، لكن قد يكسوها حياءٌ وخجلٌ، كل الأحلام المستحيلة تغدو في بساط الدعاء حقيقةً، وعندما تتوحد الأحلام، وتتشابه تفاصيلها، وبكلمة سحرية قوامها التمني، تلفظ البشرية طلسم الوجود، فينشق البحر رغم أنفه ويتمخض بقوةٍ، ويدفع من أحشائهِ نفائس درره من اللؤلؤ، ومن زبده وعنبره إلى شواطئ مدينة الأحلام، التي تتهادى على صفحاته، وتستقر في بقعة ضوئية، يكسو ضوؤها القمر.

في لحظة تمنيت أن تتحقق أحلامنا، وتصدف أمانينا أمامنا تماماً، لنتذوق طعم ذلك البعيد، الذي بتنا نتحرك إليه بشوقٍ، ونصبو إلى احتضانه ونعلق السَّعادة على وجوده ونسميه أحلاماً، مدينتي تختلف كلياً عن المدينة الفاضلة، وهي أحد أحلام الفيلسوف المشهور (أفلاطون) هي مدينة تمنى أن يحكمها الفلاسفة، ويجد فيها المواطن أرقى أنواع الخدمات وبأسلوب حضاري، قصتي تركتها غير كاملة، مع الأوراق المنثورة فوق المنضدة، بعد أن داهمني النعاس، فتحت نوافذ الغرفة، ابتلعت الشمس كل الموجودات، وبقي ظلي منكسراً خلف الكرسي الذي جلست عليه، سحبت أوراق قصتي المندسة في الدرج واكملتها بمداد أبيض يشبه طيور النورس، السابحة في السماء.

كانت مدينة الأحلام تخط دروبها بِحرّية تامة، لابسة ثوبها المزرقش بالورود البنفسجية، كنت معجباً بالورود التي زينت بها المدينة، والتي تنشر هالة من الضياء، ونسائم ريحها الطيب، الممزوج بالمسك والعنبر، فوقفت إزائها مذهولاً، كيف أسترسل في ربيع كلماتها، وأرسم لوحة جمالية من الجميل إلى الأجمل، تظهر فيها الطيور وهي تعزف سيمفونية رائعة، من فوق الأغصان الخضراء المثمرة، وجداول المياه تجري تحت أشجارها، وظل ظليل لاستراحة حبيبينِ قد تعانقا، في عالم الأُنس والصفاء، كانت لياليا قمرية خرافية، كأنها بعثت من كتب الأساطير.

جزيرة الاحلام

هاجر من الريف إلى المدينة وتخلى عن جمال قريته، بالرغم من عشقه لها، كان في درسه عن جزيرة ميون، يقارن بين جمال الجزيرة وجمال قريته، فلسفته الجمالية تقول: إن الجمالَ البحري، أفضل أنواع الجمال، الأستاذ سالم فضيعٌ في مادته، غريب في شرحه يختلف عن بقية المعلمين، إنه يوصل المعلومة إلى داخل العقل بطريقةٍ مشوقةٍ وبأسلوب جذّاب، متمكن من مادته بل متميزٌ ومبدعٌ، حوَّل الدرس إلى حلم ومشاهدات واقعية، ومن تلك اللحظة أنا أسعى إلى تحقيق هذا الحلم، كنت متفائلاً، حتى على بساط الريح لم يكن أستاذي أنيقاً في لبسه، بل أناقته في تواضعه لبسه لبس المساكين، لا يقوى على متطلبات الحياة، صاحب أسرة مكونة من سبعة أفراد، إضافة إلى عمه عبدالهادي، الذي لم ينجب أولاداً.

مرت السنون وتحقق حلم الجزيرة، كنت بالفعل موجوداً على أرضها، هناك شتانِ ما بين الحلم وتحقيقه، أول ما جاش في خاطري تذكرتُ معلمي وفلسفته الجمالية أجل، الجزيرة روعة، تمتلك كل مقومات السياحة العالمية، وتتمتع بموقع استراتيجي، لا مثيل له، في باب المندب، هي بوابة البحر الأحمر، يقال لها سابقاً (بريم) وقد نُسجت

حولها الكثير من القصص والأساطير الخيالية، منها أن حورية البحر تظهر في الجزيرة عند اكتمال البدر، والسَّعيد من يحتضنها، وهناك حِكايات وحكايات، شكل الجزيرة بيضاوي، يوجد بها فنار لإرشاد السفن وعلى أرضها البحرية توجد عمائر ضخمة وأشكال هندسية عجيبة، بل مدن راقية متحركة ليلها ولا في الأحلام إضاءات بكل ألوان الطيف، أشياء خياليَّة سحريَّة مذهلة، لا ينقطع عنها التيار الكهربائي.

وهذا يذكرني بليل مدينتي المظلم الحالك في السواد، سماء لا نجوم فيها ولا قمر، حملتنا الطائرة (الداكوته) وهي من مخلفات الجيش البريطاني، حامت بنا فوق سماء الجزيرة، فشاهدت بأم عيني، مياه البحر الصافية تغسلها، كما تغسل الأم ابنها وتعطي صخورها بريقاً ولمعاناً، وشواطئها بياضاً كبياض البيض، ارتشفتُ فنجان من القهوة الميونية، بطعمة الهيل، في مقهى ابن ياقوت الواقع بالقرب من الميناء، الذي يوجد فيه، القصر رقم واحد الرائع ذات التصميم الهندسي البريطاني، وإلى جانبه من الجهة الشرقية، تصاميم جميلة لخزانات تحلية مياه البحر.

وشاهدت مجموعة من القوارب تعمل على صيد الأسماك، وهو العمل الرئيسي لسكان الجزيرة، لا توجد آبار ولا حيوانات باستثناء

القطط، كانت لي قطة أسميتها (بسبس) لطيفة، وفي الجهة الغربية على الممر الدولي مقابل جيبوتي، يوحد المطار والقصر رقم اثنين وهو مقر إقامتي، وهناك حانوت الشحاري.

هو رجل مثقف وعنده خلفية عن الجزيرة، التي أُحتُلت من قبل البرتغاليين والفرنسيين والبريطانيين، الذين ظلوا فيها (١٢٩) عاماً، لذلك كل تصاميم البيوت بريطاني، أفكار أسطورية بدأت تتدفق في ذهني، أسئلة كثيرة وإيجابات سريعة مقتضبة، آه أيُّها البحر! لِمَ أنت جميل في جزيرة الأحلام؟ بدأتُ بحلمٍ، وانتهيت بتحقيق هذا الحلم.

فما أجمل البداية والنهاية!

وطني الكفيف

نحن نظن أننا نقتصد في الألم، حين نتقبل التدهور ونتجاهل نسيج الرفض، بعذر عدم قدرتنا على التجديد، كنت أطفو للأعلى، كمن يسبح بماء الورد، ثم سقطت فجأةً في الأعماق! وجدتُ نفسي قد شُطِرتُ إلى نصفين في آن واحد، وقد راودني شعور بأنني شخص آخر، هكذا يبدو لي، آه أيُّها الضوء، لِمَ أنت خافت لهذهِ الدرجة؟.

فبالكاد أرى القادم عليّ، لأن الضباب كثيف، لذا تقدمت إليه بثبات وعزم، كالفارس المقدام، مرفوع الرأس مستنداً على أجدادي، وسؤال يكبر داخلي، منْ ذلك الرجل ذو الهيئة الغريبة ؟.

إنه يشبه شخصية ما من التاريخ اليمني القديم، هذا ما فكرت به للتو، وأن علاقتنا ستكون معقدة جداً، دنوت منه تمعنت فيه عن قرب، بدى لي كأنه ساحر، يخترق الزمن، قلت في نفسي: قد حان الوقت لتوديع ذلك القلق، وعليّ أن أصل إلى أبلغ المناطق في عقلي والتي كانت مغلقة منذ سبعة أعوام.

أشغلت عينيّ بدل فكري بادئ الأمر، فوجدته بهيئة فيلسوف، يرتدي ملابس خشنة، ويتسلح بدفتر وقلم، أطمئن قلبي وسكن روعي،

سبقته بابتسامة عريضة للترحيب به، وأجلسته مقعدي. لحيته كثة بيضاء ذو أنفٍ كحد السيفِ، وعلى رأسه عمامة لونها لون لحيته، بارع في الطول، يحتذي نعالين قديمين من جلد الأسد، لم أرَ مثليها قط، ما إن جالسته، أحببت ذلك الرجل، شعرت بأنه يمتلك السكينة، فعولت عليه أن يخرجني من عالم الخيال حيث كنت أطفو، سيولاً سوداء تغرق أحلامنا، التائقة للانبلاج وبالوعات أقاويل تفيض بذاك الكم المروّع من براز المِخيال.

أفكار أسطورية بدأت تتدفق في ذهني، وهناك يبزغ أحساس متناقض، بأن كل منا لا ينتمي إلى الآخر، زماناً ومكاناً، وراح خيالي ونحن نحاول التوافق، في رسم عالم يستوعبنا نحن الاثنانِ، فسألته أضللت طريقك يا شيخ أم أنت نازل عليّ من السماء؟، أجاب كاسراً صمته: إذا أردت أن تعرف منْ أنا؟ فلا تُخرب ما بيننا بالتشكيك، اندهشت بشدة ثم رددت عليه: وكيف ذاك ؟، آه لو تعلم كم عدد الأذهان التي قرأتها قبل أن ألتقيك!.

أيقنت الآن بأننا مقبلانِ على خلافات جوهرية، سقط دفتره الذي تحت إبطه، فرفرفت صفحاته كأجنحةِ طيرٍ، هربت منه إلى الصمت وإلحاق الأذى بكبريائي، أعتقد بأني أشعر بالضآلة أكثر فأكثر، لكني رغم ذاك لم أبكِ في العلن، رغم شعوري بأن روحي

مخنوقةً، أُريد الآن أن أتنفس، أريد الآن أن أسترد كرامتي المهدورة، فوطني هو الكفيف والمهين والسّجين، ساد صمت سرمدي، كان الوجوم يبدو جلياً.

إلتفت يميناً وشمالاً، فلم أجد له أثراً، تركني في أوسع حيرة وغموض، بين اليأس والأمل.

انتحار أرنب

عاش في بداية حياته بين المراعي والسهول، ثم انتقل إلى حياة هادئة منعمة بين أملاكه من الفلل والعمارات، بعد ما فتح الله عليه هذه النعمة، كان طيب القلب رحيم النفس، يجالس الدراويش ويتفقد أحوالهم وهمومهم، ويساعدهم ويواسيهم في محنتهم، ويحضر أفراحهم وأتراحهم، كانوا يضربون به المثل، في الشهامة والأخلاق.

يأكل مما يأكلون وينام حيث ينامون، كل الأرانب تحبه وتعطف عليه، بل كلهم يمسون عليه، كل صباح ومساء، ولم ينكد على حياته إلا الثعلب، الذي سلمه مفاتيح أملاكه وأعطاه الثقة كاملةً.. فقد كان يظهر أمامه الإخلاص والأمانة، ومن وراءه يغمد له الشر، ويفتح له مشاريعاً خيالية، وأرباحاً تفوق الوصف وينوش عليه (نوشه وراء نوشه).

يؤلف له قصصاً وحكايات لا تسمن ولا تغني من جوع، فالثقة العمياء تعمي البصيرة وفي الحقيقة، ليس الأمر كذلك أجل، بل وصول الأرنب الى درجة كبيرة من التكبر وعُقدة العظمة، هذه العُقدة أنْسته أصحابه من الأرانب، ونسيَ أيام الصِبا و(أيام عاده رضيع)، فتخلى عنهم بكل سهولة، كما يتخلى القائد عن أنصاره، والذين هم من بني جلدته، ويذهب مع الثعالب، لا أصل لهم ولا فصل.

فكانت الأوهام تعشعش على راسهِ، بل الشيطان بنفسه جاثم على رأسه، يوهمهُ بأنه يمتلك أكثر مما يمتلكه قارون في الدنيا، وأنه يحرك العالم برنة تليفون، أوهام كثيرة قادته إلى البحث عن الثعالب، فدارت عليه الدوائر وأصبح صفر اليدين،(لا يملك قيد أنملة).

انتهت تجارته وأملاكه إلى الثعلب، فانتحر بأن صدم نفسه بجدعِ شجرةِ السدرِ الذي كان فوقها النوب يأكل من رحيق أزهارها، لينفع الناس بالعسل، والطيور تغرد فوق أغصانه وتحت الشجرة انتحار متكبر.

يوم من الذاكرة

يوم جميل، والطقس أجمل. والسماء تظللنا بالسحاب، والربيع يغطي ملامح الأرض بالعشب، وقد كساها لون أخضر، كنت أسير إلى مدرستي بقميصي الأبيض، وفوق ظهري أحمل حقيبتي، ذات اللون الأصفر، والأطفال جميعهم يسيرون إلى حيث أسيرُ، انتظر أصدقائي عند الوادي الصغير الذي اختفى منذُ أمدٍ بعيدٍ، إلا أني أراه في مخيلتي حتى هذه اللحظة.

كنا نجتمع ونسيرُ مهرولين إلى المدرسة، وعبدالصبور، ذلك العجوز الذي افتقدته منذُ زمن، يقوم ومعه الجرس الحديدي يدق به، معلناً ساعة الطابور الصباحي، في الساحة الكبيرة نقف مصطفين في طوابير منتظمة، نؤدي حركات رياضية، استعد استريح، يقولون أن هذه التمارين، تساعدنا على فهم الدروس بصورة أفضل، ثم بعد ذلك نسير بانتظام إلى الصفوف، لن أنسى ولن تنسى المدرسة، معلم اللغة العربية الذي ينقل الحصة إلى الطبيعة، خارج الصف، نكتب الحروف على التراب، وفي الهواء والجو غائماً رائعاً.

كان معلمي، ينطق الكلمة بالتلحين والتشكيل، (بلبلٌ، كتكوتٌ) كلمتانِ رائعتانُ، لا زالت ترنُ موسيقاها في أذني، بل كانتا مفتاحاً لي

في تخصصي في الدراسة الجامعية، كانت الشمس تسلم علينا كل صباح داخل الصف، لا نعرف الكهرباء، أحياناً يهب علينا نسيم الوادي. أيام الامتحانات، نعتمد في مذاكرتنا على الفانوس، والذي تكونت معه صداقة حميمة، استمرت ثمان سنوات، في بعض الأحيان، نسمع حشجرة المصباح، إذا طال عليه الليل.

أحبُّ مدرستي بالرغم من أن بعض سقوفها من (الجواني)، كيف لا أحبُّها وهي علمتني، فهي جميلة بكل المقاييس، جمالها من طبيعة ظروفها، كنا هناك نفرح ونمرح مع قطرات المطر، فطبيعة قريتي حلوة، خضرة بين السهول والوديان.

اختلال الوزن والقافية

كانت الساعة تشير إلى السادسة صباحاً، في مثل هذا الوقت من كل صباح، تكون المدينة نائمة هادئة، لم تَدُبّ فيها الحياة والحركة بعد، باستثناء حركة الصيادين بقواربهم على البحر، وأصوات المكائن ذات الموسيقى الكلاسيكية وهي تناغم موسيقى الموج في سمفونية جميلة، وطيور النورس تحلق تحت السحاب، فارشة جناحيها، في منظر بديع.

والعصافير في بساتينها تغرد فوق الأغصان، ترى من لَوّث صباحات المدينة الهادئة، وأخَلّ بسكينتها، كيف تَبَدّل شجو العصافير إلى فضاءات عشوائية؟.

منذ قرابة السبع السنين العجاف وصفو أجواء المدينة يتعكر، وسحابة الجوع والفقر المصطنعة تخيّم علينا ظلماً، حتى القمر خسف نوره، ولم نعد نرى البدر في سماءنا، والقناديل انطفأت لعدم وجود الزيت، وأصبحت المدينة في ظلام دامس، وخيّم عليها سواد الليل، فلم نعد نقدر نقرأ قصائدنا، ضيعنا الأوزان والقوافي.

أنظر إلى الغبار المتصاعد، هل هي عاصفة ترابية أم ماذا؟! ثَبّت نظارته الطبية على عينيه، لم يصدق ما رآه، عام سيء بكل المقاييس، ليست المشكلة في الأعوام والسنين، الناس تغيرت، لم

يعودوا كما كانوا، لم يقتنع الشاب بعبارة الرجل، بيد أن الظروف، لم تشجع شابا مثله، مولع بالنقاشات الفلسفية على المزيد، هزّ رأسه يمينا ويسارا في استياء، هَمَّ بالكلام قبل أن يقاطعه صوت قادم من بعيد، أشياء مُحَيّرة تُحدث تستعصي على الفهم، وكأننا جميعاً مجرد دُمى على رقعة شطرنج، تعبث بها أيادي لاعبين كبار، ضاربين بالدين عرض الحائط، ولديهم من المكر والخبث.

وربما الدهاء والأنانية الشيء الكثير، يحركنا اللاعبون كما يشاؤون وبما تقتضيه قوانين اللُعبة ومصالحهم الخاصة وإذا ما تعبوا استراحوا وتركونا مشحونين بالكراهية من أجلهم، لا وجود للمبادئ في قواميسهم، ولا قواميس لنا في فهم الواقع، إنها نظرية اختلال الوزن والقافية.

شِعْبُ رقمان

جلسنا على ضفاف وادي رقمان، جلسة تأمل وصفاء، فإذا بدوية ترعى بالغنم وتصدر أصواتاً لم نفهم معناها، قد تكون لها علاقة باللهجة البدوية، وعلى ظهرها قربةً ممتلئة بالماء، وخلفها مجموعة من الأغنام، يصل عددها خمسون رأساً، وكلب رابض على ذراعيه في هيئة استعداد، الأشجار خضراء والأرض مفروشة بالعشب، والشياه تأكل ما طاب لها من القتاد، وبدويٌ حامل فأس يقطّع من شجرة السمر.

يدندن بأصوات بدوية جميلة، كأصوات البدوي الراكب على ناقته، وعلى مقربة منه مجموعة من الاكواخ، المتناثرة هنا وهناك والمصنوعة من سعف النخيل، وغار في الجبل على محاذاة الوادي، قد ضم مجموعة من البدويات، وناقة وحواشيها بالقرب منهم يأكلن الأراك، والشمس قد قاربت على المغيب وكاد قرصها يلامس الجبل، فقد أرسلت اشعتها الصفراء في وقت أصيلها، على سهول ووديان شعب رقمان، ولسان حالها يقول: وداعاً وداعاً، لقد حان الرحيل.

كم تمنيت السهر، لكن لا مناص من ذلك، فقد داهمها القمر، بأشعته الفضية وأزاح جمالها بجمال نوره، على بطحاء الوادي وصخوره، فعلى ضوء القمر يحلا السمر، مجموعات من البدو على

شكل حلقات دائرية، يتوسطهم الموقد، والموقد يتكون من ثلاث أحجار، داخله الحطب المشتعل بالنار، وعليه إناء القهوة، ذات المذاق الخاص، فقد تذوقنا قهوة البن، وكانوا يحكوا لنا سوالف جميلة، وماهي إلا لُحيظات، حتى امتلأ الوادي بالبدو والحضر فكم من مشترٍ، قطع مسافات طويلة، في سبيل الوصول إلى رقمان، على أصوات الهبيش، شاعر ومغني ومشترح ومتفرج.

فهذه أمامي مدارة الشرح وقد وقف اثنانِ من المغنيين، ودخل رجل قصير القامة يقال له المحضار يقول شعراً رائعاً، على إثره دبت الحركة والنشاط، واعتلا الهاجس بالدان وتناغمت الأصوات الجميلة، كتغاريد العصافير، وتبعه شاعر آخر، طويل القامة نسبيًّا يميل إلى البياض، عليه عمامة مكورة على كتفيه، يرد عليه بالجواب، وقد اصطف الراقصون في (شنفينِ متقابلينِ).

على أثره ارتفعت أصوات وصفقات الراقصين طرباً مع حركة أرجلهم، وما أن اشتد اللعب حتى دخلت الراعية، ذات اللبس البدوي المتميز وهي تتمايل بين الراقصين، معتمدة على حزامها الفضي، وحجلها القابضة عليه بيدها بالقرب من خصرها، وهي تؤدي حركات وقفزات خاصة بلعبة الهبيش، فكانت ليلة شاعرية، فيها السَّلا طاب، وامتدّ إلى وقت السَّحر.

فاعلُ خيرٍ

في إحدى ليالي الصيف الحارقة، والجو حارٌ، وفاقةُ الفقرِ أشدُّ حراً، في هذه المدينة الوديعة، والناس يتزاحمون في ركب الحياة، وفاعلُ خيرٍ مجهولٍ يسافر عبر الطرقات المغبرة، في أرض (أم اليتامى) وسط حرٍّ شديدٍ، ليترك رُزماً غامضةً على أبواب المحتاجين، ومحفوظ يائس بائس، لا يعرف كيف يتصرف في قوت يومه، غزا الشيبُ رأسهُ وضاق صدره وتجاوز الصبر حدوده، لكن أمله في رب العباد كبير.

محفوظ لا يحب أن تُهان كرامته، ولا يحب أن يستجدي الناس، ولا يلبس ثوباً غير ثوبه، عرضوا عليه مراراً وتكراراً لكنه أبى، فقابله الشيطان في هذه الليلة في جلسةٍ ودّيةٍ - جلسة الدنيا المعطرة - وقال له: إن أصحابك وقومك تخلوا عنك ولم يساعدوك بريالٍ، وكل واحد يجري وراء مصالحه، أرأيت صادق وخميس كيف ملكا هذه الدنيا وقصورها، حتى سعدالله أعز الناس إليك.

والجمعيات الخيرية ذات اللوائح البراقة والطوابق الفاخرة، سدّوا الأبواب في وجهك - ما أقساهم عليك في هذا الزمن المرير - فما عليك إلا أن تشق طريقك بالحديد والنار، محفوظ اول مرة في حياته

يقابل فيه الشّيطان، إنه نفس النسخة من فلان وفلان، لا أصدق هذا! يا للهول! ولكن لا أستطيع أن أُكذب عيوني.

تعرف فلان وفلان؟ قال: نعم، هؤلاء أصحابك، أصحابي وأنا الآمر والناهي لهم، دارت الدنيا بمحفوظ وسقط مغشياً عليه - وفجأةً - غيمت السماء بالسحب، ونزلت حبات المطر لتمسح دموع حزنه المالحة بماءٍ عذبٍ، عادت الحياة إليه فنهض يتوكأُ على عصاه حتى يحافظ على توازنه وهو ينفض غبار حزنه ويقول: الشّيطان بشحمه ولحمه، لا والله لا أتبعه، أنا إنسان طيب.

فتح باب بيته، فإذا برزمة بالية مرمية على الأرض، أخذها ليرميها خارج البيت، فأنكشف ما بداخلها من نقود، مكتوب عليها من فاعل خيرٍ، تمتم محفوظ بكلماتٍ نابعة من قلب صادق حزين، ليس للحياة طعماً بدون حبَّ إنساني.

كوب على الحائط

دخلتُ مقهى، وطلبت كوباً من الشاي وبدأت أرتشفُ منه، متأملاً في الهدوء الذي خيم به المكان، ومع انسجامي بين لذةٍ ورشفةٍ ووصولي لنصف كوب الشاي، دخل رجلٌ للمكان، وسحب مقعداً بجوار طاولتي، فسارعه الجرسون بعد قليل من جلوسه فقال له الزبون: لو سمحت، أحضر لي كوباً من الشاي، وكوباً آخر على الحائط.

اندهشتُ من طلبه، وتساءلتُ بيني وبين نفسي عن قصده، (بكوب شاي على الحائط) ولم أجد غير الانتظارِ والترقب لهذا المشهد الغريب والعجيب.

وبعد لحظات جاء الجرسون وفي يده كوب شاي واحد فقط، قدمه، ثم أخرج ورقةً صغيرةً وكتبَ عليها (كوب شاي) وتحرك نحو الحائط وألصقها عليه وانصرف، عجيب أمرك ايُّها الرجل! تاركاً على رأسي الحيرة والعجب فكم عشت من العمر وكم رشفت من القهوة في كثير من المقاهي الشّحرية وكم زرة وزرة! صف من علامات الاستفهام والتعجب! بعدها بدقائق معدودة، دخل ثلاثة وكرروا ذات

المشهد، بأن طلبوا ثلاثة أكواب شاي، وزادوا عليها بكوبين على الحائط.

فلم يكن من الجرسون إلا أن أحضر لهم الثلاثة أكواب، ومن ثم ألصق ورقتينِ على ذات الحائط، بعد أن كتب على كل واحدة عبارة، (كوب شاي)، أحسست وقتها برغبةٍ عارمةٍ، في التعرف على هذا اللغز، المحيّر للعقل وأوشكت على الصراخ بكل أسئلة الاستفسار.

إلا أنني تذكرت أني في قارة، (كل في حاله) ولست في بلد تتساوى فيه عبارتي (السلام عليكم) و(كيف الحال) في طرحها على الآخر، وما هي إلا دقائق، حتى دخل زبون آخر، رث الملبس إلى حدٍ ما، فجلس بالقرب مني، فأتاه الجرسون فقال له الزبون بهدوء: كوب شاي من على الحائط.

فذهب ثم عاد بكوب شاي، ووضعه على طاولة الزبون، واتجه صوب الحائط، وانتزع إحدى الأوراق الملاصقة عليه، طريقة مهذبة، تضمن لمن ليس لديه، ثمن كوب شاي من الفقراء أن يطلبها دون حرجٍ وبهدوء لا يخدش كبرياءه ولا يبعثر كرامته.

بقايا أحلام

دفعه عمله إلى الزحف نحو المدينة مع من زحف وراء لقمة العيش، عليٌّ حضرمي، يسكن إحدى القرى الجميلة، ذات الطبيعة الخلّابة، ظلَّ يحلمُ ويحلمُ، فلكل إنسان طموحاته وأحلامه في الحياة، هذه الأحلام تكبر وتزداد مع مرور الزمن، وتنمو إلى أن تغفو، ولا أقول تتوقف أو تموت، قد تغفو طويلاً متأثرة بالظروف التي تحيط بها، وبالأمواج التي تضرب شواطئها، لم تكن ظروفه أنداك تسمحُ بأي شيء غير تجميد رصيد كل حلم، في بنك الظروف القاسية.

وبرغم أن أحلامه قد باتت في سباتٍ منذُ زمن طويل، فأنها بين الفينة والأخرى تستيقظ متثاقلة الجفون، في محاولة يائسة منها لإزاحة الكرى عن عيونها، فيضحك ساخراً هامساً لنفسه: أبعد هذا العمر المنقضي، مازالت هناك بقايا أحلام، تداعب أوتار الفؤاد! وكأن لسان حاله يقول:

ذهبَ الشبابُ (فماله من عودةٍ) *** وأتى المشيبُ فأين منه المهربُ

إنه يشعر بمرارة فقدان بعض أحلامه، والتي بدأت معه منذُ أيام الصبا، ولكنها كانت أحلاماً متضاربة، فتارةً يحلمُ أنه أديبٌ كبيرٌ ومؤلفاً لكتابٍ، وتارة يحلم ببيت في هذه المدينة الوديعة، فهي أم اليتامى

والمساكين، وهي سعاد لكل سُعدٍ، وتارةً أخرى يحلمُ بكنزٍ يحقق أحلامه، وبمرور الزمن بدأت أحلامه تتبخر، فبدأ يتمتم بحسرةٍ أتتني الأماني باكيةً تقول: ما بالك لم تحققني، فأخبرتها عن الأيام القاسية.

وعن وطناً يزرع اليأس بدلاً أن يشجعني، (فدمعي الذي كتمته جَلداً، فإذا به كالغيثُ ينسكبُ) كلما تذكر أقرانه الذين أصبحوا في أماكن مرموقة، يشار إليهم بالبنان، يشعرُ بغصةٍ وألمٍ، وقد فاق صبره من صبر، ولكنه لا يلوم إلا نفسه، رغم الظروف التي توهم أنها السبب، يقول: توهمتُ، لأن الظروف فعلاً وحقيقةً ليست هي العائق الحقيقي أمام تحقيق أحلامه، فالإنسان بالله أقوى ألف مرة من الظروف، فمازالت هناك ضحكات لم نضحكها بعدُ وأمل وسعاداتٍ مخبأة لم نعِشها بعد، وبقايا أحلامٍ سوف تتحقق إن شاء الله.

بعد كُلِّ هذا التعب واليأس، (لو كانت الحياة إبرةً، لكان رزقُك خيطاً يأتيك من ثقبُها) أن هناك قلوب طيبة وإن كانت بعيدة عنا تمنحنا السعادة، فنحن نخطط ونرسم الكثير من الأحلام والأماني وما يتحقق منها إلا القليل، ولكن في لحظة من اللحظات قد يغيّر الله كل شيء، وتتبدل أحزاننا سعادةً وتشرق شمسنا، ويضئ قمرنا ويحقق الله أمانينا.

الأحلامُ تبتسمُ

خلع نعال الحُزن، حين دلف باب سفينة الأحلام واكتسى بلون الابتهاج، بعدما كانت تأتيه الهموم كالذئاب، جماعات وفرادى، كان يطرّز المساء الحزين، بخيط أبيض من فيض أحلامه، أول مرة في حياته يُقدم على الدخول في هذه السفينة - وفي غفلة من الزمن - ولا يتردد أبداً، بعدما كان في عالم النسيان لا قيمة له، كان يحكي لأعز أصدقائه بأحلامه، وظل يحلم ويحلم..

لكنه فقير لا تخرج الكلمة من بين شفتيه إلا بصعوبةٍ من شدّة الجوع، فالبطن خاوية والثياب بآلية، وهو صفر اليدينِ، لم تلمس يده منذ زمنِ ريالاً يمنياً ولا سعودياً، وهو خجولٌ يستحي من أحلامه، لكنه أصبح مقداماً بين عشيةً وضُحاها، لا يعرف كيف تم هذا التحول! يسأل نفسه؟ ويكرر نفس السؤال؟ مرات ومرات، أين أنا؟

يلتفت يميناً ويساراً، ما هذا؟! كل شيء في هذه السفينة يبتسم، إنه سحر الجمال، كل شيء جميل، كل شيء موجود، الحياة حلوة والأحلام تتحقق، يا إلاهي إنه عالم سحري، كل ما يتمناه أحمد مستجاب، أصبحت حياته دلعاً في دلع، بدأ عدَّاد حياته يسجل ميلاده

الجديد، غير الذي مألوف عند البشر، فتلاقت القلوب وتعطلت لغة الكلام، وفتحت الدنيا له أبوابها بنعيمها وخيرها.

وأصبحت فلسفته في الحياة، كل ما يتمناه المرء يدركهُ، ولا غرابة في ذلك، حتى طبعه أصبح ملائكياً، بشوشاً لا تفارق الابتسامة شفتيه، بعدما كان وجهه كئيباً عبوساً وكلماته مبتورة الاطرافِ، تُشبه الهمس، فالواقع حقيقةً وإن كان من قبل في عالم الخيال، في عالم المستحيل، لم يجرؤ على البوح..

إنما حاول كتابة ما يدور في قلبه وعقله على قمر السماء، حتى يقرأهُ قمر الأرض، فالمكتوب حتماً تشوفه العين، هو كثير الحياء، أينما وجد تشم رائحته الطيبة، وهذه ميزة تفرد بها وأبدع فيها، فالإبداع شيمته، لقد تعلم فن الحياة! وإن الكرمَ مراتبٌ أولها الجود وثانيها السخاء وأسماها الإيثار، وإن الأحلام وجه هذا العالم، وإنها فعلاً تبتسم، وهي ترى ما لا يمكن أن تلحظه عين.

غيمةُ حضرمي

أشرقت الشمسُ على بيت العم عوض، الواقع على تلةٍ، في الجانب الشّرقي من القرية، وتسللت أشعتها إلى حيث ينام، فأيقظته على صباحٍ جميلٍ، يحملُ في طياته كلَّ خيرٍ، فقد سمعَ طارق يطرق على الباب، فتمتم: يا فتّاح يا عليم، يا رزّاق يا كريم، فكان الطارق زاهراً يُطلب يد زُهرة على سنّة الله ورسوله.

كانت زُهرة أصغر أخواتها، نحيلة الخصر كقطرة ندى، مفتحةً كزَهرةٍ ناصعةُ البياض، وهي أمٌّ لطفلينِ وبنت، مازالت في زمن البراءة، عمرها لم يتجاوز العشرين عاماً.. لا يذكر أحد أنها اختلفت معه أو تشاجرت، وعندما حملها الزمان في بحارهِ، وصارت زوجةً، كان الزمنُ يمرُ عليها، فيفجر فيها نبعاً من الحنانِ والسكينةِ.

الشيء المأساوي في حياتها أن تحبَ وتضحي .. وتحلم بإنسان لا يشعر ولا يحس بها.. ولا يحب سوى نفسه، بالرغم من أنها أعطته كل شيء، فهي الحنونة العطوفة، يطلبُ منها المستحيل، ويضعها بين خيارينِ كِلاهما مرٌّ، حاولتْ أن تقول له: أن ما يريده فوق الطاقة ومنافِ لكل عرف، لكنه ركب رأسه وأصرَّ، زُهرة زوجة طيبة، تحب الستر.

ابتلى زوجها بالقات حتى نخرَ فيه الزمن، وفعل فعلته، فكانت المأساة! أن أصبحت الأسرة فقيرة مجردة من الحياة وحلاوتها، كان زوجها زاهر يصرف الريالات على الشجرة اللعينة، ويتكئ على مخدة الضياع، واضعاً رجلاً على رجلٍ، في زهو من الخيال.

يغشاه دخان المعسَّل، مكوناً سحابة من الندم، ويمتلئ فمه بالقات، حتى كاد أن يمزق خده الأيمن، تمر الساعات وتشرق الشمس وتغيب في وجهه وهو داخل غرفته، يمضغ القات، ضيع شغله وقلّ احترامه بين الناس، وأصبح مدمناً، هو حضرمي ومن أصول حضرمية ومن أسرة محترمة ذات الحسب والنسب.

كان (يخزن) في السر إلى أن افتضح أمرهِ وأصبح من عشّاق هذه الشجرة والذي لا يتوقف عن طلبها، هكذا أصبحت حياة زاهر، نصحه صديقه محمد بأن يترك مضغ القات فأنه مخدر ومخسر، ويتدارك الأمر، ويصلح شأن أسرته، لكنه أبى وتجاوز حدوده، فتراكمت عليه الديون وأظلمت في عينه الدنيا وكسفت شمسه وخسف قمره، وطالت يداه أموال الناس، فأصبح سارقاً، وتم القبض عليه متلبساً بالسرقة وإذاعه السجن، ووضعوه بين خيارينِ لا ثالث لهما: استرجاع ما سرقه وتسديد ديون الناس أو السجن، فغيَّمت الدنيا عليه وتدحرجت من عينه دمعةُ ندمٍ.

يومُ العيدِ

سعيد رجل من سكان هذه المدينة الغارقة في الترف والبذخ، وهو فقير لا يملك قوت يومه، يعيش في بيت متهالك آيل للسقوط، لكنه سعيد بنعمة العافية، قدّر عليه أن يعيش حياة تعيسة لا يقدر على توفير لقمة العيش، وكم مرة ينام بلا عشاء وقد تعوّد على طبخ وجبة الغذاء، على فحم العصر اليمني الجاهلي، وكان يجلب لقطته اللطيفة، ذات اللون الأبيض الناصع بقايا الصيد ويقتات منه.

زوجته مسكينة صابرة عفيفة تحب الستر، وهو يسرح من الصباح الباكر، في البحث عن العمل، لكنه بدون جدوى، وبعض الاحيان يلقى عملاً شاقاً، فهو مكافح، أتى يوم العيد وهو لا يملك شيئاً في بيته؛ في العيد أُناس كثيرون يأكلون اللحم، ويتفننون في طبخه (المندي والمقلي وأبو المرق) ويتزاحمون على شراء المكسرات، وهو يرى كل هذا بأم عينيه، وكله حسرة، ولما عاد إلى بيته، وجد امرأته قد أعدت طبقا من الفول، وهو طعام الفقراء مع الخبز وقدمته له وقالت: كل عام و أنت بخير.

قال لها: و أنتِ طيبه؛ أخذا يأكلانِ الخبزَ والفولَ، ويحمدانِ الله، بعدما شبعا تسأله زوجته، أليس في هذه البلد أضحية؟ ونحن في عيد

الاضحى، أليست هذه المدينة بلد المسلمين؟! أليس في هذه المدينة تجار؟!، ويقول في نفسه: كل الناس تأكل اللحم في العيد، وأنا وزوجتي نأكل الفول!..

يوم تكريمي

قادتهُ الصدفة إلى القاعة الكبرى، فجلس على المقعد الأمامي في الصفوف الأولى، بجانب كبار الضيوف، وهو لم يكن من المكرمين، ولا قيمة له أصلاً في هذا الصرح التعليمي، فهو قد شارف على انتهاء خدمته، فما عليه إلا الرحيل، فقد اختط الشيبُ رأسه، ونال الزمن منه وأصبح غريباً بين أصحابه، منْ أنت؟! ومن جاء بِك إلى هذا المكان الأنيق، هكذا تقول نظراتهم، مهلاً مهلاً، رويداً رويداً.

هكذا كان الأستاذ أحمد يخاطب نفسه، بدأ صاحب الخدمات يوزع الصحف، وناول الأستاذ أحمد صحيفةً، مكتوب عليها بالعنوان البارز (أخبار التربية) وهي ملونة بالألوان الجميلة، وما أن لامسها بيديه حتى تذكر صحيفته (التربوي الشّحري) لكن قاده فضوله إلى التصفح في أسماءِ المكرمين فوقعت عيناهُ على اسم سعد وسعيد وبركات وعبود وأسعد وكثير من طلابه، ممن علمهم، فبارك لهم في قلبه.

فهو أستاذهم وصاحب المثل الأعلى في الأخلاق والأمانة، وهو مثقفهم ومعالجهم، وكم صال وجال داخل الصفوف الدراسية وحافظ عليهم، كما تحافظ الأم على ابنها الرضيع، طوى الزمن لحيظاته وبدأ

الحفل الفني، فرأى عصافيراً شحرية تزقزق وتغرد على زهرات النرجس، المنتشرة على خشبة المسرح، فتعايش معهن كالنحل في قرص العسل، فأثلج صدره وتنفس الصعداء، فهناك مصطلحات تنضج ذاتياً كالثمرة في نخلتها، وتعطي ثمارها لغيرها لأنها نعمة من الله تعالى.

بدأت فقرات الحفل تنطوي سريعاً، هو يشاهد كل كبيرة وصغيرة داخل القاعة، وبدأ المذيع يسرد أسماء المكرمين ويستلم كل مكرمٍ شهادته وحافزهِ النقدي من الوزير مقابل إبداعه، وانتظم المكرمون في طابور طويل لكن فيه اعوجاج، والأستاذ أحمد واقف كالطود شامخ الرأس، منتظر سماع اسمه، يتمتم بِكُلِماتٍ، الشمسُ شارقة لكن.. (عند جُهينة الخبر اليقين).

حكاية حمودة

اقتربت الشمس من المغيب، وكاد قُرصها يلامس الجبل، وحمودة لازالت ترعى بغنمها في الوادي، حيث العشب والخضيرة، وكلبها الأمين خلفها، قد أوكَلَتْ إليه حراستها وحراسة غنمها من الذئاب، هي لم تكن على بُعدٍ من قريتها، والتي أحبتها منذُ وصولها من المشقاص، بعد وفاة زوجها، الذي يقال له (العاص).

واعتمدت في معيشتها على بيع الغنم، فكانت محبوبة لدى أهل القرية، حيث أصبحت واحدة منهم، وإن كانت عايشة في عريش من سعف النخيل وهم عائشون في بيوت حديثة، فطبيعتها بدوية وتحب البداوة، بل لبسها بدوي وعيشتها بدوية، وهي أميَّةٌ، يقولون أهل القرية (حمودة تحب ربَّها وربَّها يحبَّها) فهي موصوفة بالطيبة.

كان أحمد وسعيد قد خلقا علاقة وطيدة مع حمودة وكلبها، فيجلسانِ كل مساء، عند عريشها، يفْتَرَشانِ الأرضَ ويتذوقانِ قهوتها اللذيذة، وهي تحكي لهم أساطير وحكايات.

ومن ضمن حكاياتها، حكاية كلبها الوفي، الذي قتل عشرة من الذئاب الذين انقضوا عليها، في وادي رقمان، وانقد حياتها وحياة

غنمها، كان الكلبُ قوياً وذكياً يفهم لغة الإشارة ويعرف صاحبته، فهو عند حمودة لا يقدر بثمن.

ولا يمكن العيش بدونه، ويعتبر الذراع الأيمن لها ورفيق دربها وأنيسها، وحارس عريشها، كان العريش يقع في الضفة الغربية، على الطريق المؤدي إلى فلسطين، وفلسطين هذه مزرعة جميلة، تم إطلاق اسمها من اسم فلسطين العربية، يوم النكبة.

الطريق إلى فلسطين مزدحم بالمارة، الكلب اكتسب قوةً لا يسمح لأحد دخول حدود العريش أو الاقتراب منه، فهناك خط أحمر حددته له حمودة، سعيد شاب في طريقه إلى فلسطين، تعدا الخطوط الحمر، فأنقض عليه الكلب بالنهش والعض، حتى سالت الدِماء منه، وسقط على الأرض مغشياً عليه، ولولا تدخل حمودة لمات.

انتشر خبر الكلب، وزاد الرعب منه، وخاف الأطفال والشباب على حياتهم، فاجتمعت اللجنة الإصلاحية بالمواطنين وأقروا قتل الكلب، وقد كلفوا (صالح كُند) فهو رجل مشهور بالقنص بالبندقية، فتعقب الكلب لقتله، لكنه فشل في مهمته ثلاث مرات، فكلما يريد ضرب الكلب، يتحول الكلب إلى غنمة وسط الغنم وهذا أمرٌ غريبٌ وعجيبٌ!

وهكذا اشتدت العداوة بين نساء ورجال أهل القريةِ وحمودة وشب كيرها، وظلت الحالة هكذا، حتى تمكن ذلك الرجل من قتل

الكلب، بعد تعب ومشقة في وقت كانت حمودة فيها نائمة، فأخذ الصبيان الكلب ونصّبوه شامخاً على قمة الجبل، كبطل للقرية، أما حمودة فقد رحلت من حيث أتت.

الحلم الصغير

انتحى بنفسه في ناحية مكتظة من المقهى، انطفأت الشمعات أمام عينيه، وبدأ النواح والبكاء، كل ما تبقى وريقات من الحلم الصغير، قال هذا وهو يرى المودة في القلوب قد تحطّمت، لا توجد لدينا أعمال شاغرة! قالها المدير بمليء فيهِ، أخذت هذه الكلمات ترنّ في أذنيه وكأنها ترددات صدى، صفعته بسلب حقه الوطني لوطنه، وجردته من حلمه.

كان هذا آخر أمله فيما يتعلق في الحصول على فرصة عمل، اشتد به الغضب، فلم يستطع تمالك نفسه، فإذا بطفل يتقدم نحوه بخطوات متثاقلة تظهر على ملامحه، آثار الجوع و الفقر، وكانت ثيابه البالية تعكس حالة البؤس التي هو عليها، شعر بغصّة مريرة في حلقه، أخذ الطفل يمدّ يده الصغيرة المرتعشة تجاهه، لعله يعطيه شيئاً، يسدّ به رمقه، وضع يده في جيبه، وأخرج ما كان بها من ريالات.

كانت كل ما يمتلكه واعطاها للطفل، ثم اتكأ على المقعد وتقوقع على نفسه في محراب الآهات، والشمس منتصبة فوق رأسه، ترسل سهامها المحرقة، أغمض عينيه فإذا بشريط معاناته يتراءى أمامه: وفاة والده الذي لم يترك له سوى ذلك البيت الذي يفتقر إلى أهم

اساسيات المعيشة، أشتدّ عليه همه، فتنهدَ تنهيدةً اهتزت لها مشاعر الرجل، الذي كان يجلس بجانبه، ولم ينتبه لوجوده، رجل يرتدي بدلة أنيقة، فقال: مالي أراك وكأن كل أبواب الأمل أغلقت في وجهك؟ ما صنعت بك تقلبات الحياة لتجعلك تصل إلى هذه المرحلة؟! بصوت مخنوق العبرات، قال: إني رأيتُ بصيصاً من الضوء خافت، يتسلّل من آخر أبوابه فهرعت إليه على أمل أن ينير لي حياتي ويحقق حلمي.

ولكن ككل مرة، ما أن يفصلني عنه مجرد خطوات، فإذا به يغلق أمام وجهي، أخذ سهيم يبعد بخطواتهِ، مخلفا الرجل الأنيق وراءه، انتظر توقف! التفت اتجاهه وعلامات الاستغراب بانت على ملامحهِ، قرب منه اكثر وأخذ يقول: من يوم غذٍ يا سهيم، ستأتي للعمل في الشركة، أنا صاحب الشركة التي خرجت منها للتو، وقد سمعت حديثك وأنت تتوسل للمدير، ليتم منحك فرصة عمل وبينما كنت أستعد للخروج، رأيتُكَ جالساً في المقهى، وتعطي ذاك الولد بعض القطع النقدية!.

فتعجبتُ لأمرك، كيف لشخص لا يملك عملاً، أن يعطي ما لديه من نقود، لشخص محتاج؟ وهو قد يكون أشد حاجة منه، أصنع لنفسك أيام جميلة، ولا تنتظر جمال أيامك من أحد.

الزوجة السابعة

أرتشف فنجان من القهوة (الشاذلية) بشراهةٍ، رغم حرارتها، وضرب مقْود سيارته، فباشرتهُ بالطيبة، فأنطلق صوب المدينة، فراح من الصباح الباكر - قبل بكور العصافير - يسمسر على عباد الله، ويملأُ جيبه بالريالات، إنه شخص تجرد من الإنسانية، كما تتجرد الشجرة من أوراقها في وقت الخريف، فتدحرجت تحت قدميه الريالات، وركب الشيطان رأسه، جثم عليه، وتناول جرعةً كبيرةً من الوهم.

فدخل في دوّامة ملكة الجمال، فصرف الملايين على هذا الوهم سوف أضم يدها واحتضن جمالها هذه الليلة، هذا ما قرره بانفعال زائد وأمواج من الرضا المنعش غمرت جسده كله، كان الليلُ في منتصفهِ، السكون يخيم على المكان، السواد يلفُ بيوت القرية، كل الإمارات تدلُ على أن الناس نائمون.

دخلت السيارة في غفلةٍ من الزمن، متسللة مكتومة الأنفاس، فتح باب سيارتهِ بحذرٍ، وولج إلى غرفةٍ مظلمةٍ، لا شيء يدل فيها على الفرح، جلس بجانب زوجته الجديدة، يتفحص جمالها، أخرس اللسان حتى لا يسمعهُ أحد، يتمتم بكلمات داخل حنجرته لم تكوني على قدرٍ

كافٍ من الجمال، فهناك شجٌ في الأنف، وماهي إلا لحِيظات حتى انتقلت العروسة من ظلمة الغرفة إلى ظلمة الطلاق.

عن (طريق سيناريو) ملكة الجمال، فجن جنونه وأصبح يلف ويدور حول نفسه، قائلاً: فلوسي وأنا حرٌّ فيها، يبتسمون لبعضهم البعض، ويتهامسون أطراف الحديثَ، أحياناً يظن في نفسه كما يعتقد الناس، انه مجنون أو إنه يحلم، إنَّ السماء غائمة والهواء بارد والنهار حزين، ترفرف كآبات ضبابية ورمادية، أيامي معك خذلتني، فلم تمنحني سوى الأوهام ... كل شيء يذوب من شدة النكران، زفرات ندم وحشرجة عذاب.

آه ما أجمل الخيال! عندما يكون الواقع غائباً في طيَّات الماضي..

عبيد يكّه

هكذا يسمونه أهل الحارة، كان في وقت سلوته، يلعب الورقة مع أصحابه، ودائماً يختار (اليكة) ولا يختار غيرها مثل: (ألرانة والباشا) حتى التصقت اليكة باسمه و أصبحت جزء منه، هو بائع ألعاب أطفال وعرائس، وعنده لعبة (حظك في الكيس) لمحته وهو يقود عربته الخشبية الصغيرة ويتمايل بها يميناً ويساراً ليتخذ له موقعاً مناسباً، بجانب الطريق الرئيسي المؤدي إلى سوق البلد.

أمام مسجد عيديد، المسجد التاريخي المشهور، الذي ينتسب إلى العارف بالله السّيد علي بن محمد عيديد، الواقع بالقرب من (الباغ) في الجهة الشرقية من المدينة، كان احتفالية هذا اليوم يوم الختامي، وهي مناسبة دينية تبدأ في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان، كان مساءً جميلاً، تداعبهُ النسمات ولا يكدر صفوهِ الّا انقطاع التيار الكهربائي، ولكن العناية الربانية قد أعادت البسمة إلى وجوه الأطفال.

فقد أرسل القمر نوره وتلألأت قباب المسجد بالروحانية، وعبيد مرِحاً يوزع الابتسامات للأطفال، كان رجلاً ستينياً، قد طلع على المعاش وكانت خدمته في التربية والتعليم، عامل خدمات في مدرسة عمرو بن العاص، كان يصول ويجول ولا يكل ولا يتعب، يحب

مدرسته حبّاً يفوق الوصف وكان مخلصاً، عليه بعض الشعيرات، أصلع لا تفارق العمامة رأسه.

أبيض البشرة يميل إلى اللون البحري، قدماه نحيفتان، نوعاً ما سلمت عليه فرد التحية باقتضاب، ويظهر عليه أنه مشغول بترتيب ألعابه، وممَّا شدّ انتباهي هو احتفاؤه بالأطفال، وهم ينادونه (عبيد يكّه) فيسلمهم اللعبة مقابل ما تيسر من النقود، والابتسامة تملأ وجهه.

فهرس الموضوعات

القصَّة	الصفحة
الإهداء	٤
المقدِّمة	٥
العصفور الأزرق	٧
الطالب العنكبوتي	٩
مدينة الأحلام	١٢
جزيرة الاحلام	١٤
وطني الكفيف	١٧
انتحار أرنب	٢٠
يوم من الذاكرة	٢٢
اختلال الوزن والقافية	٢٤
شِعْبُ رقمان	٢٦
فاعلُ خيرٍ	٢٨
كوب على الحائط	٣٠
بقايا أحلام	٣٢
الأحلامُ تبتسمُ	٣٤
غيمةُ حضرمي	٣٦

يومُ العيدِ	٣٨
يوم تكريمي	٤٠
حكاية حمودة	٤٢
الحلم الصغير	٤٥
الزوجة السابعة	٤٧
عبيد يكّه	٤٩
فهرس الموضوعات	٥١